الدلالات النظرية المعاصرة لمفهوم التطرف

علي احمد عبد مرزوك*

* كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين

ملخص :

يعوّق التطرف ووليده الإرهـاب مسيرة الشعوب والأمـم، ويسيطرُ بأفكاره الهدّامة على النفوس والعقول حتى تصبح معولَ هدم يأتي على حضارات الشعوب والأمم وابداعاتها حتى يجعلها حصيداً خامداً وكأنها لن تسعى للخير أو تبني لنفسها يوماً، ولا يهدد التطرف السلم المجتمعي والحياة العامة والعلاقات بين الناس فحسب؛ بل السلم والأمن الدوليين، خصوصاً إذا ما تحوّل من الفكر والتنظير إلى الفعل والتنفيذ، وقد انتشر هذا التحول من الفكر الى الفعل عبر التأريخ في العديد من دول العالم، من بينها الدّولة العراقية، واستُعملت التنظيمات المتطرفة كلّ أسلحة التّطَرّف المولّدة للإرهاب، فضّلاً عن اعتماد تقنيّات واساليب فكريّة جديدة تستهدف التّحوّل باتّجاه ما أصبح يعرف دولياً بالتّطَرّف العنيف، ما سبب صراعاتٍ دموية تجتمع لديها الاجندات السياسية والايديولوجية والاجرامية، واظهرت قدرتها على استغلال العلاقات المعطلة داخل المجموعات الاجتماعية في الدولة، والتي عملت على تمزيق النّسيج الاجتماعيّ وزرع التّفرقة بين صفوف أبناءه، ما أدى إلى تراجع حالة التعايش السلمي والمنظومة الأمنية للدولة ابعادها كافة، وإنّ التّراكمات الّتي يسببها التّطَرّف وجدالات الانقسام التي تمتدّ وتترسّخ وتتمثّل بحروب عقليّة داخليّة تطيح بكلّ سياسات التّعايش والتكامل الوطني القائمة على الوسطية والاعتدال وقواعد المنافسة الثّقافيّة والحوار والتّسامح الفكريّ والتّوافق على مشتركات ثقافيّة وطنيّة؛ تدعونا إلى تحديد مفهوم التطرف معرفياً واهم الارتباطات المفهومية ذات العلاقة، فضلاً عن توضيح سمات الشخصية المتطرفة، وهذا ما سيركز عليه هذا البحث.

كلمات مفتاحية : التطرف، الإرهاب، الراديكالية، الكراهية، الأصولية.

Contemporary Theoretical Implications of the Concept of Extremism

Ali Ahmed Abed Marzouk
PhD researcher/ College of Political Science/ Al-Nahrain University

ABSTRACT

Extremism and its offspring of terrorism impede the progress of people and nations, and its destructive ideas spread over souls and minds until they become a base for demolition that comes on the civilizations of people and nations and their innovations until they make them a dormant harvest as if they will never seek good or build for themselves. Extremism does not only threaten societal peace, public life, and relations among people; Rather, it threatens international peace and security, especially if it shifts from thought and theory to action and implementation, and this shift from thought to action has spread throughout history in many countries of the world, including the Iraqi state, and extremist organizations have used all the weapons of extremism that generate terrorism. In addition to adopting new intellectual techniques and methods aimed at shifting towards what has become internationally known as violent extremism, which has caused bloody conflicts with which political, ideological, and criminal agendas meet, and demonstrated its ability to exploit disrupted relationships within social groups in the state, worked to tear the social fabric among segments of society. This led to a decline in the state of peaceful coexistence, the state's security system in all its dimensions. The accumulations caused by extremism and the controversies of division that extend and take root and are represented by internal mental wars that overthrow all coexistence and national policies based on moderation and rules of cultural competition, joint ideas, dialogue and national harmony. Thus, these concepts call for defining extremism and its related concepts, and clarifying the extremist character which will be the focus of this research.

KEYWORDS: extremism, terrorism, radicalism, hatred, fundamentalism.

المقدمة

لا يزال التطرف وما يحيط به من مفاهيم يشكل موضع جدالٍ إلى حدٍّ كبير بين الأوساط الفكرية والدولية، يُعزى ذلك إلى أسباب متعددة من ابرزها ان الكثير من المصطلحات المستخدمة في تفسير هذه الظاهرة لا ترتبط بتعريفات متعارف عليها عالمياً، وعلى الرغم من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في اتباع «مقاربة عملية» إزاء تعريف التطرف وما يرتبط به من مفاهيم، في استراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب؛ إلا ان حسم تعريف التطرف والإرهاب وتبيان المفاهيم المرتبطة بهما لا يزال محط خلاف لان الاستراتيجية انشغلت في طرح تدابير عملية لمناهضة التطرف ووليده الارهاب اكثر من انشغالها في تحديد المصطلحات والاتفاق عليها، أما السبب الآخر والذي يجعل المناقشات المتعلقة بالمصطلحات معقدة في السياقات الدولية، وهو ناتج عن التحديات المرتبطة بالترجمة، فلا يمكن نكران ان هذه المصطلحات عندما تُترجم، قد تنساب إلى معاني جديدة أو مغايرة للقصد، مما يزيد من احتمال سوء التفاهم بين الثقافات، وهذا ما يضيف درجة أخرى من التعقيد على المناقشات حول الاتفاق على تفسير مفهوم التطرف.

وعلى الرغم من التحديات – المشار اليها أعلاه -التي تواجه تفسير المفاهيم والمصطلحات، سنحاول في هذا المطلب بيان مفهوم التطرف واهم ارتباطاته المفهومية، من اجل فهم التبعات المتعددة لكل مصطلح فهماً كاملاً، ولفك اللبس عن التداخل التفسيري لبعض المفاهيم.

بقدر ما استأثر الفكر المتطرف المنطلق من مرجعيات دينية بالاهتمام الدولي، انتج طلباً فكرياً واجتماعياً لفهم هذه الظاهرة ومسبباتها، أجابت عنه مجهودات أكاديمية رامية إلى اشباعه عبر اشتغال علمي يحرص على حدود مقبولة في الموضوعية، وتقع تحت رقابة الجماعة العلمية (اطروحات دكتوراه، مقالات، وكتب معتمدة، ومقالات محكمة... وغيرها) بالتوازي مع تواتر انتاج أبحاث من طبيعة مختلفة (التقارير الاستخباراتية، والاستقصائيات الصحفية... وغيرها)، وبعد احداث الحادي عشر من أيلول 2001، أُنتِج كم كبير من مُختلف هذه الألوان من الانتاجات، من قبل مُؤسسات دولية، كالمنظمات الدولية ومراكز الدراسات والتفكير، مصحوبة بدعم وإصرار دولي على تضييق الخناق على الجماعات المتطرفة فكرياً، ومنها ما تركز عليه دراستنا ولا تزال، من التنظيمات التي ما زالت قابلة للملاحظة والرصد.

وعلى قاعدة هذا التوازي بين منجزات البحث وتوجهات المجتمع الدولي، يمكن التفكير في مدى توافر المعرفة السوسيولوجية الكافية بهذه التنظيمات الجديدة، واحتواء تلك المعرفة على ما يكفي من المؤشرات التي تسمح باعتمادها في فهم التحول نحو عالم خالٍ من التطرف؛ وبالرغم من هذه الجهود التي تحاول اشباع الطلب على فهم ظاهرة الجماعات المتطرفة، وافعال الإرهابيين، من خلال الاشتغال العلمي الهادئ، فقد تم ملء الساحة الفكرية بالعديد من الانتاجات الفكرية المضادة لهذا الفكر؛ زادت بالوقت نفسه من حدة الجدل الاجتماعي والفكري والسياسي حولها، وبالفعل تركز جانب كبير من المناقشة على الاطروحات المذهبية التي تعتنقها هذه التنظيمات، وعلى السلوكيات المرتبطة بها، في معيارية غالبة على حساب القراءة العلمية[1].

وعليه تعدّدت تعريفات التَّطَرُّف، وكذلك تنوع مصادره، وأصوله، ومنابعه، كما تمتدّ طرق مواجهته -في الحالات القصوى- من الفكر إلى استخدام القوّة، ومن الملاحظ وكما ذكرنا سابقاً عدم وجود مناقشات جادّة ومنضبطة حول ما يعد تطرفاً ويمثّل تهديداً للتعايش السلمي والمنظومة الأمنية للدولة، فهناك تيّار يقصر التّطرّف على الجماعات الارهابية كـ«تنظيم القاعدة وداعش»، وهناك تيّار آخر يتحدّث عن أفكارٍ متطرّفة تنتجها ممارسات النخب الدينية والسياسية؛ وهناك تيّارٌ ثالث يحلل قنوات التّنشئة الاجتماعيّة السّياسيّة ومساراتها الخاطئة المسبّبة للتطرف، وغيرها من التيارات الّتي تجتمع على أنّ الممارسات المتطرفة المولّدة للإرهاب عملت بشكل مباشر على تهديد التعايش السلمي في العراق وتشتيت صورة الهُويّة الوطنيّة العراقيّة، اذ تشير العديد من الدراسات التي طالعها الباحث بان مصطلح التطرف مضطرب مع مفهومه وتتداخل تفسيراته مع تنوع الثقافات واللغات، لينتج لدينا كم هائل من المصطلحات ذات العلاقة والتي تشير في معظمها الى الهدف نفسه، وعليه ينقب هذا المطلب عن مفهوم التطرف والمفاهيم ذات العلاقة من خلال

(1) عبد الحكيم أبو اللوز، البحث الاجتماعي في التطرف الديني العنيف، في مجموعة باحثين، التعصب والتطرف والعنف مقاربات في المجتمع والدولة والدين، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2019، ص25.

الإجابة عن جملة من التساؤلات: ما التطرف وما علاقته بـ (التنطع، والتشدد، والتعصب، والغلو، والأصولية، والراديكالية، والاسلاموية، والكراهية)، وهل هو مفهوم احادي الجانب؟ أي تفسيراته مطلقة؟ وهل يتم تفسير مفهوم التطرف عبر التركيز على جماعات محدّدة تحمل فكراً متطرفاً؟ أم عن الافكار المتطرفة؟ أم عن مصادر هذه الأفكار؟

اولاً: في التفسير اللغوي للتطرف

يظهر من الاطلاق الأولي لمفهوم التطرف انه يستحضر المعنى الذي يصله بطرف الشيء ومنتهاه، من جهة الحد والفاصل الأخير الذي يجعله في منأى عن الصلات مع ما يحاذيه أو يجاوره، فيفضي به إلى التقوقع والانكفاء الذاتي الداخلي، وحسبان ذلك هو المطلق والكل النهائي الذي يتضمن كل ممكنات الحياة وشروط الاستمرار بعيداً عن الآخر، وبما ان الطرف يُحد في حيز اقصى، وكل ما عداه بعيد، ناء، غريب، غير مفهوم لا يُسمح له بالدنو والاقتراب[2].

(2) الحاج دواق، دلالات التطرّف ومـجـاوراتـه المفهومية، في مجموعة باحثين، التطرف الديني في فكر الجماعات الإسلامية نحو مقاربات تفسيرية، مركز دار للأبحاث والإنـتـاج الإعلامي، القاهرة، 2018، ص7.

يُشتقُ التطرُّفُ في اللغة العربية من «الطرف» أي «الناحية»، أو «منتهى كل شيء»، وتَطَرَّفَ» أتى الطرف «أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط»، ويدل مفهوم التطرف إلى حدّ الشّيء وحرفة، وعلى عدم الثّبات في الأمر، والابتعاد عن الوسطية، والخروج عن المألوف ومجاوزة الحدّ، والبعد عمّا عليه الجماعة، والوقوف في الطّرف، بعيدًا عن الوسط، وأصله في الحسّيّات، كالتَّطَرُّف في الوقوف أو الجلوس أو المشي، ثمّ نقل إلى المعنويّات كالتَّطَرُّف في الدّين أو الفكر أو السّلوك، ومن لوازم التَّطَرُّف أنّه أقرب إلى المهلكة وأبعد عن الحماية والأمان[3].

يُشتقُ التطرُّفُ في اللغة العربية من «الطرف» أي «الناحية»، أو «منتهى كل شيء»، وتَطَرَّفَ» أتى الطرف «أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط

(3) محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صـادر، د.ت ، بيروت، ص 55/8.

وتبرز توصيفات لغوية أخرى في لفظة «طرف» ومنها اطراف الكائن؛ أي أعضاؤه البرانية المحددة لهويته الخارجية، التي تجعله لا بمحاذاة اطراف أخرى؛ بل في تسوير ذاتي خاص، طرف الشيء: جانبه، ويستعمل في الاجسام والاوقات وغيرهما.. ومنه استعير:

هو كريم الطرفين؛ أي الأب والأم، وقيل الذكر واللسان إشارة إلى العفة، وطرف العين: جفنه، والطرف: تحريك الجفن، وعبر به عن النظر؛ اذ كان تحريك الجفن لازمة النظر... والطراف: بيت أدم يؤخذ طرفه، ومطرف الخز، ومطرّف: ما يجعل له طرف، وقد أطرفت مالاً، وناقة طرفة ومستطرفة، ترع اطراف المرعى كالبعير.. ومنه قيل: مال طريف، ورجل طريف: لا يثبت على امرأة، والطرف: الفرس الكريم، وهو الذي يطرف من حسنه، فالطرف في الأصل هو المطروف؛ أي المنظور اليه كالنقض في معنى المنقوض[4].

(4) الراغب الاصفهاني، معجم مفردات الفاض القرآن، تحقيق يوسف الشيخ، دار الفكر، بيروت، 2010، ص227.

وعند تحليل المعاني والـدلالات اللغوية للتطرف وتوظيفات مشتقاته اللغوية، وان توارت الاستعمالات المختلفة وتنوعت، فان التطرف يُنظر اليه من زاوية الاعتقاد بالتفرد، وعدم إمكانية وجود المطابق أو المشابه، فيولد في نفسية المتطرف العجب الذاتي، وفكرة تكريس التميز بعدم الاختلاط مع الاخرين لدنسهم، وكونهم يشكلون تهديداً دائماً مستمراً عليه، ما يضطره إلى الدخول في تجربة الانقطاعات الدائمة عنهم، والمضي في استحضار كل الإمكانيات وتوظيف كل الأساليب الفكرية والرمزية والنفسية والذهنية... وغيرها لتجعله في منأى عن الجميع، وبذلك يختار من المواقف أقصاها واغربها واشذها، ويبحث عن كل الموارد التي تجعل من اختياراته مخالفة للغير، ما يقوده في النهاية إلى رفض كلّ الممكنات الأخرى من الفهم والاعتقاد، فيلجأ إلى أساليب الاكراه والقسر لحمل الغير على ما يظنه الحق[5]، فالتطرف حالة مركبة، مرة تمارسها جماعة ضد فرد، أو في مقابل أخرى، وأخرى يوظفها فرد في الحكم على غيره من المختلفين عنه، فيلجأ إلى عمليات الاكراه المستمر لجعل الغير موافقاً أو مطابقاً له[6].

فالتطرف حالة مركبة، مرة تمارسها جماعة ضد فرد، أو في مقابل أخرى، وأخرى يوظفها فرد في الحكم على غيره من المختلفين عنه، فيلجأ إلى عمليات الاكراه المستمر لجعل الغير موافقاً أو مطابقاً له

(5) جودت سعيد، لا اكـراه في الدين، دراســات وابحاث في الفكر الإسلامي، العلم والسلام للدراسات والنشر، دمشق، 1997، ص11.

(6) الحاج دواق، مصدر سبق ذكره، ص9.

وإذا كان مفهوم التطرف لم يرد لا في القرآن ولا السُنة، فقد استعمله بعض العلماء بدلالة الذهاب الى احد طرفي الشيء

مجلساً أو موقفاً فكرياً أو عملياً، سواء بالذهاب إلى الطرف بالتشدد (الافـراط)، ام بالذهاب إلى الطرف بالتساهل (التفريط)، وهو ما جعل التطرف في خطاب المتكلمين مرادفاً للغلو[7]*، فكل مغال في الدين مبالغ فيه بإفراط متطرف، وكل جاف للدين مُجانب له بتفريط متطرفٌ ايضاً، لكن الشائع هو استعمال التطرف لدلالة حصراً على المبالغة والمغالاة في التشدد (الإفراط) وليس التساهل (التفريط)[8]، وتشير دلالة التَّطَرُّف إلى الْغُلُوّ في عقيدة أو فكر أو مذهب أو غيره مما يختص به جماعة أو حزب[9]، ونرى من خلال ذلك ان تعريف الْغُلُوّ يصدق على تعريف التَّطَرُّف في الجملة؛ الا ان التَّطَرُّف اعم من الْغُلُوّ؛ لان معناه الميل والانحراف إلى طرفي الامر فهو شامل للغلو لكن الْغُلُوّ اخص منه في الزيادة والنقص والمجاوزة للحد الطبيعي وليس مجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف.

ثانياً: صلة التطرف بالتعصب والغلو

ينظر إلى التَّطَرُّف بأنه صيغة من صيغ التعصب مع نوع من المغالاة في الاتجاهات التي يعتنقها المتطرف مصحوبة بشحنات انفعالية حادة يمكن أن تستثير في ظروف خاصة سلوكًا عدوانيًا عنيفًا[10]؛ وعليه فالمتطرف المشحون بصبغة تعصبية وغالبا ما ينعزل عن الفكر السائد، خاصةً في الحالات التي يمثل فيها الأقلية عن الأغلبية، اذ ان التعصب هو انحراف عن معيار العقلانية لعدد من المعايير السلوكية المثالية، يكون على شكل حكم متعجل، ورفض تعديل مسبق او تعميم مفرط، او التفكير في اطار القوالب النمطية، ورفض تعديل الرأي في ظل ظهور دلائل جديدة، ورفض السماح او الاهتمام بالفروق الفردية، وتبدأ مواقف المتطرف المتعصبة بالعزلة والمقاطعة، حتى تصل الى اصدار حكم فردي على ذلك المجتمع بالردة والكفر، ثم يتحول هذا الموقف الانعزالي عند البعض الى موقف عدواني (مُمارسة العنف) يرى معه المتطرف ان هدم المجتمع ومؤسساته الناظمة له، هو نوع من التقرب الى الله وجهاد في سبيله[11] (وهذا ما سيتم توضيحه في الفقرات اللاحقة).

(7)* الغلو: من المصطلحات التي تشترك مع (التشدد) في كثير من الجوانب، اذ يدل معنى الْغُلُوّ في اللّغة إلى مجاوزة الحدّ والقدر، والغين واللاّم والحرف المعتل أصل يدلّ على ارتفاع ومجاوزة قدر، ووردت مفردة الْغُلُوّ في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، منها قوله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)، ويعني جلّ ثناؤه بقوله: (لا تغلوا في دينكم) لا تجاوزوا الحقّ في دينكم فتفرطوا فيه، ويشير معنى الْغُلُوّ إلى مجاوزة الحدّ بأن يزاد في الشّيء، في حمده أو ذمّه، على ما يستحقّ، ونحو ذلك، وهو المبالغة في الشّيء والتّشديد فيه حتّى يتجاوز الحدّ، فالْغُلُوّ هو تجاوز الحدّ الشّرعيّ بالزّيادة، والحدود هي النّهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به... للمزيد ينظر: القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (77)؛ وينظر ايضاً: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص236؛ وينظر ايضاً: محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، مصدر سبق ذكره، ص 79/9.

(8) علي عباس مراد، التطرف صناعة إنسانية، مجلة قضايا سياسية، العددان (37-38)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2014، ص281.

(9) ينظر بتصرف: صلاح الصاوي، التَّطَرُّف الديني (الرأي الآخر)، الافاق الدولية للاعلام، المجلد الاول، 1993، ص12- ص13.

(10) علي بن عبد العزيز الشبل، الغلو، دار الشبل للنشر والتوزيع، بلا تاريخ، الرياض، ص22.

(11) للمزيد حول التعصب وعلاقته بالتطرف ينظر: فيصل خليل عبد الهادي، التعصب والتطرف: المفهوم والدوافع واستراتيجيات المواجهة، مجلة رسالة المعلم، العدد (1)، وزارة التربية والتعليم/ إدارة التخطيط والبحث التربوي، 2016، ص15-16.

ومع أن التطرف والغلو التعصب ذو مدلولات متقاربة، فإن الأقرب الى التفسير هو ان التعصب والغلو يتفرعان من التطرف؛ إذ من المعتذر ان يوجد متطرف غير غالٍ او متعصب بما يعتنق من معتقد ديني او سياسي او اجتماعي او عرقي أي ان يكون ذا اعتدال، كما لا يوجد ذو غلو أو تعصب لا يتطرف في رأيه او موقفه ويمكن ان يجمع هذه الصفات الثلاث تعبير عدم الاعتدال[12].

ثالثاً: صلة التطرف بالأصولية

يرى بعض الباحثين ان مصطلح التطرف ليس له شواهد في الاستعمال قديماً كما هو معناه الحالي؛ اذ يعبر عنه في اللسان العربي بعدة الفاض منها: (التنطع، والتشدد)[13]*، ويعد التطرف الذي عرف قديماً بالتنطع والتشدد والغلو اصبح من المصطلحات الحديثة التي تسربت إلى الساحة الفكرية[14]*، تحت مسمى الأصولية[15] الذي كان يطلق على الطائفة الداعية إلى التمسك بالأصول النصرانية في عصور الظلام، من المهم الإشارة هنا ان مصطلح الأصولية له مفهوم عند علماء الدين المسلمين يختلفُ تماماً عن المفهوم الذي تبنتهُ الدراسات الغربية لوصف الأصوليين بالمتطرفين؛ إذ ان الاصوليون في الفكر الإسلامي هم المتخصصون في علم الأصول، العارفون بالأدلة الشرعية التي هي آلة الاجتهاد وعدته، أما الاصوليون في المفهوم الغربي فهم طائفة من متشددي البروتستانت[16].

وإذا كانت الأصولية الإسلامية عودة الدين الى الجذور والمنابع الإسلامية فهي عودة الى منابع الدين الصافية النقية وليس عودة الى الانعزال والتقوقع عن الواقع بحجة كفره، وهذا المعنى لم يتغير الا بعد تبني الوسائل الإعلامية للغرب وظفته للإشارة الى ما هو سلبي وحينما التبس الفهم عند بعض الحركات الإسلامية، فمضت سادرة في فمها

(12) راشد المبارك، التطرف والثقافة، مجلة الكلمة، العدد (48)، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، 2005، ص107.

(13)* أ- التنطع: هو التعمق والغلو ومجاوزة الحدود في الاقـوال والافعال. ويكون غالباً في تكلف الفصاحة والتشدق بالكلام، أو التكلف في أمر لا يبلغه عقله ولا يعنيه، أو ترك الرفق والمبالغة على ما شرعه الله، كتعظيم الصالحين إلى الحد الذي يفضي إلى الشرك، والامتناع عن المباح مطلقاً، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب.. للمزيد ينظر: تكليف لطيف رزج ومحمد مصدف ذير، مهددات التسامح الاجتماعي التشدد العقائدي انموذجاً، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإسلامية، عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول لجامعة الانبار الموسوم (الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية)، جامعة الانبار، 2018، ص266.

ب- التشدد: وهو التعمق والمبالغة في الدين ومأخوذ من الاشتداد، أو الشد (هو العدو)، وللتشدد اقسام منها: (التشدد في العقائد، والتشدد في العبادات، والتشدد في المعاملات)، ومن اخطر أنواع التشدد هو العقائدي، لان الشخص قد يأخذ فرعاً من فروع الدين، ويكبره ويضخمه حتى يجعل منه الدين كله، ولان التشدد في الاعتقاد يؤدي إلى نتائج وخيمة على الفرد والمجتمع... للمزيد ينظر: مروة محمد جميل، التيسير وذم التشدد في القرآن الكريم (سورة البقرة انموذجاً)، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، العدد (14)، كلية التربية، الجامعة العراقية، 2019، ص170.

(14)* من بين تلك المصطلحات هي الاسلاموية وفي الأصل تم انشاء هذا المصطلح من قبل العلوم الاجتماعية الغربية، ولم يُستعمل من طرف التيارات الإسلامية المتطرفة، ويشير الى كل الجماعات التي تشترك في الإسلام السياسي، وتؤيد فكرة منح الإسلام دوراً مركزياً في السياسة والحكم وفي المجتمع، لذلك هو مصطلح للغاية، يشتمل على مجموعة واسعة من الحركات معظمها لا تقوم بأعمال العنف، كحزب النهضة في تونس، والكثير من فروع جماعة الاخوان المسلمين، ويشتمل ايضاً المصطلح التنظيمات المتطرفة التي تقوم بأعمال عنف كتنظيم القاعدة، وتنظيم داعش الإرهابي... للمزيد ينظر: عبد العظيم الـدفـراوي، الظاهرة الجهادية، ترجمة أمال ابريطل، مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2020، ص170.

(15) مجدي عبد الله، التطرف والعنف في الفكر اليهودي، مركز اعلام العربي، الجيزة – مصر، 2008، ص30.

(16) المصدر نفسه، ص22.

المغلوط لتحقق هذا المعنى جوهره وحقيقته، ليمضي هذا المفهوم وهو محمل بتلك التركة الثقيلة التي نتجت عن أفعال هذه الحركات ولتكون سببا في وصم هذه الحركات بالأصولية، ولهذا ينبغي التمييز بين الأصولية الإسلامية والتطرف والإرهاب، لان بعض الأصولية لا تسعى الى إقامة نظام إسلامي بالقوة وممارسة الإرهاب، وأما التطرف فان له اكثر من لون ولا يحمل الاطار الإسلامي وحده، وهناك من يرى الأصولية انها ليست مفهوماً دينياً بحتا بقدر ما انها تشير الى ضرب معين من ضروب السياسة المستمدة من مصادر الشرعية، حسب اعتقادها، وإزاء ذلك فالأصولية هي أوسع من حيث ربطها بين مستوى الحركة الاجتماعية والبعد الحركي المرتبط بتحقيق مجموعة من الأهداف التي تتجاوز البعد الديني الى البعد السياسي[17].

ان المعنى الذي تداولته الثقافة الغربية لمصطلح الأصولية هو توصيف للجماعات الدينية المنظمة التي تتبنى اصولاً عقائدية (تعاليم، نصوص، تأويل)

(17) علي محمد علوان وفاتن محمد رزاق، الأصولية الإسلامية (قراءة في مسارات التكوين وابعاد المستقبل)، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد (20)، جامعة تكريت، كلية العلوم السياسية، العراق، 2020، ص95-96.

اضطربت الدلالة التداولية لمصطلح الأصولية، فإن هناك حاجة الى اكتشاف معايير يمكن في ضوئها إطلاق التوصيف على أهله، فلقد تقدم ان المعنى الذي تداولته الثقافة الغربية لمصطلح الأصولية هو توصيف للجماعات الدينية المنظمة التي تتبنى اصولاً عقائدية (تعاليم، نصوص، تأويل)، فالمعيار الأول: اعتبار هذه النصوص والتأويلات هي مكامن الحقيقة النهائية للوجود، وهي خزانة الحقيقة الكاملة، الخالدة، المطلقة، وعليه فلا يمكن ان يكون للحقيقة مصدر آخر مثل العلم او التجربة او التفكير الفلسفي/ العقلي، أما المعيار الثاني: أنها تعتقد بأن الالتزام فرض ديني إلهي على الناس كافة ومن لم يلتزم بها، فهو محدد لله وعدو له، لذلك تجب محاربته وقتاله، بل من لم يكفر من لم يلتزم بها فهو كافر ايضاً ويجب ان يقتل، فلابد من فرضها على الناس، والدفاع عنها بكل الوسائل وعلى رأس تلك الوسائل استعمال العنف ضد الآخر الديني او المذهبي، والمعيار الثالث:

نظرة الاصوليات لتغيير الاجتماعي لا تتأسس على حاجة الناس او مصالحهم؛ إنما على تنفيذ الواجب الديني الحتمي، الشمولي التطهيري، غير المرتبط بالإنسان ومصالحه

ان نظرة الاصوليات لتغيير الاجتماعي لا تتأسس على حاجة الناس او مصالحهم؛ إنما على تنفيذ الواجب الديني الحتمي، الشمولي التطهيري، غير المرتبط بالإنسان ومصالحه، وفي ضوء ما تقدم تتضح سمات الجماعة الدينية التي توصف بأنها أصولية[18]:

1. أنهم جماعة منظمة وليست عشوائية، او ناتج حراك اجتماعي او استجابة لانتماء تاريخي.
2. انها تعتقد بأصول دينية أساسية (تعاليم، عقيدة) بحيث تشكل منظومة فكرية (نصاً، أو تأويلاً).
3. أنها تعتقد أن في تلك الأصول الحقيقة الكاملة والمطلقة ومعها العلم والتجربة الإنسانية، وان تعتقد ان من الالتزام بالأصول فرض ديني، والاخلال بها اهدار للهيبة الإلهية، وان الدفاع والتبني الأنموذجي لرؤية مذهبية قابل للحوار. والحث سلمياً على تبني الانموذج الديني الخاص بها.

أما الاصوليات العنيفة التي تقترب إلى الفكر المتطرف بالمفهوم والممارسة، فإن لها اختلاف جذري عن الاصوليات التي تحث سلمياً على تبني نماذجها الخاصة بها، فطريقتهم في التغيير الاجتماعي شمولية – انقلابية، عنيفة وليست إصلاحية تدريجية، ووسائلهم في التغيير مفتوحة على كافة المتاحات، ومنها إيقاع الرعب واهدار الحقوق المدنية، وان التجربة الدينية الأولى كما يرونها هي فقط التجربة الصحيحة والمعيار لكل مراحل التطورات المدنية للإنسان، وتقرأ كل التطورات الإنسانية والمدنية اللاحقة على تلك التجربة المعيارية من خلال منهج نصوصي حرفي ماضوي غير قابل للحوار والنقد، وترفض هذه الجماعات الآليات العقلانية، والنزعة النقدية والتأويل والاجتهاد في فهم النص الديني، اذ انها لا ترى مشروعية للتكيف مع العالم المعاصر وتحولاته المدنية والحضارية بصورة عامة[19].

رابعاً: صلة التطرف بالراديكالية

اخذ مفهوم الراديكالية تفسيرات عديدة، وقد لا يشير مفهوم

(18) عبد الأمير كاظم زاهـد، إشكالية العنف الديني دراسة سوسيولوجية في الفكر الشيعي، سلسلة دراسـات فكرية، جامعة الكوفة، توزيع: دار الرافدين، بيروت، 2020، ص31.

(19) عبد الأمير كاظم زاهـد، مصدر سبق ذكره، ص32.

(الراديكالية) الى منظومة محددة من الأفكار والحجج، وانما يصف أي أفكار او تيارات تناهض الأفكار والنظم المتفق عليها او التي أصبحت مقبولة، وتعد موضع اجماع واتفاق في المجتمع، وقد استعمل مفهوم الراديكالية في مواضع كثيرة عبر التاريخ، من ابرز شواهدها استخدام مصطلح الراديكالية بمعنى إيجابي في وصف الذات من (تشارلز جيمس فوكس) في البرلمان الإيطالي عام 1797، في ما يسمى بتيار (الويغز) كرمز لمنع المتاجرة بالعبيد، وتأتي مقاربة (كارل ماركس) في مفهوم الراديكالية اذ يرى «ان تكون راديكالياً يعني ان تمسك بالشيء من جـذوره»، ولكنها تعني في سياقات أخرى التمسك بالأسس والمبادئ الأولى، او التطابق بين المبدأ النظري والبرنامج العملي، ولكنها قد تستخدم بالسلب فقط في حالة الصاق الصفة بأفكار الخصوم وآرائهم فتغدو في هذه الحالة رديفاً للتطرف؛ ففي معجم كامبريدج مثلاً تعني الراديكالية ان يحمل الانسان معتقدات واراء ترى الغالبية انها غير عقلانية وغير مقبولة، وفي معجم اوكسفورد نجد تاريخ الكلمة الفيلولوجيا وغيرها بمعنى الجذر، ونجدها في التخصصات كافة بمعنى الأساسي والجوهري، والعميق، ويوصف الراديكالي في التفسيرات السياسية «هو المدافع عن الإصلاح الراديكالي.. أي الذي يحمل اكثر الأفكار تقدماً عن الإصلاح على المسار الديمقراطي»، وفي القرن التاسع عشر استخدمت التسمية للفرع المتطرف من (الحزب الليبرالي)، وحالياً تعني بصورة عامة على من يدافع عن أي تغيير سياسي او اجتماعي شامل، ومن ينتمي الى الفرع المتطرف في حزب من الأحزاب... منتمِ الى جناح يساري او ثوري، ومن الواضح ان الراديكالية لا تتعلَق بالموقف الجذري فحسب، بل ايضاً بعملية موضع الموسوم بها خارج المتفق عليه اجتماعياً وسياسياً في ظل هيمنة أفكار وقيم في مرحلة محددة، فما كان يعد راديكالياً (بمعنى المتطرف، وخارج التيار الرئيس) حتى نهاية القرن الثامن عشر، لا يُعد كذلك في عصرنا الحالي؛ اذ اصبح مسلما به[20].

(20) عزمي بشارة، في ما يسمّى التطرّف، دورية سياسات عربية، العدد (14)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2015، ص8.

على ذلك لا تمثل الراديكالية تهديداً للمجتمع ان لم ترتبط بعنف او بأعمال أخرى غير شرعية، على غرار التحريض على الكراهية، وقد تكون الراديكالية قوة للتغيير الإيجابي، فعلى سبيل المثال الناشطون الذين حرصوا على إزالة الرق والعبودية، أو أولئك الذين دعوا الى الاقتراع العام (كما ذكرنا سابقا) كانوا في وقت من الأوقات ينعتون بالراديكاليين حيث وقفوا ضد المواقف السائدة في مجتمعاتهم آنذاك، في حين ان وصف الراديكالية بانها مصطلح مرادف للتطرف، في حال اخذ مسار ديناميكي يتقبل الفرد من خلاله العنف الإرهابي سبيلاً ممكناً وحتى شرعياً للقيام بعمل ما.

عُرِّف مفهوم الراديكالية المؤدية الى الإرهاب، بانه مسار نشيط يؤدي بشخص الى الاقتناع بان العنف الإرهابي يمثل وسيلة ممكنة وقد تكون شرعية ايضاً لتحقيق الغاية

وفي هذا السياق عُرِّف مفهوم الراديكالية المؤدية الى الإرهاب، بانه مسار نشيط يؤدي بشخص الى الاقتناع بان العنف الإرهابي يمثل وسيلة ممكنة وقد تكون شرعية ايضاً لتحقيق الغاية، ويمكن ان يؤدي هذا المسار، دون ان يكون حتمياً، بذلك الشخص الى الدعوة الى مناصرة الاعمال الإرهابية او المشاركة فيها[21].

خامساً: صلة التطرف بالكراهية

ترتبط الكراهية بالتطرف ارتباطاً وثيقاً يصل احياناً الى الملازمة والاقتران وقَلَّ ان يخالط متطرفاً شعوب محبة لمن يخالف ما يذهب إليه من مذهب أو اعتقاد، على ان العلاقة بينهما ليست علاقة جدلية تسلك هذين الامرين في دائرة مغلقة يتعذر منها معرفة أي الامرين يكون مقدمة او نتيجة، ذلك ان الكراهية قد تطرأ على الذات أي تكون ضيفاً حالاً عليها من الخارج، وليست – في اغلب حالاتها – صفة متأصلة في الذات، وعندما كتب (ارسطو) عن النفس في دوافعها وميولها لم يزد عن الإشارة العابرة الى الكراهية جاعلاً إياها مفردات العاطفة[22]، اذن تعد الكراهية من بواعث التطرف وعامل جذب له.

سادساً: التحول نحو التطرف العنيف

من نافلة القول ان مصطلح التطرف العنيف من المصطلحات

(21) الوقاية من الإرهاب ومكافحة التطرف العنيف والرّاديكاليّة المؤدّيين إليه: مقاربة الشّرطة المجتمعيّة، تقرير منظمة الأمن والتعاون في اوربا (OSCE)، فيينا، 2014، ص14.

(22) راشد المبارك، مصدر سبق ذكره، ص111-112.

الحديثة في الحقل الاكاديمي؛ لكن تاريخياً عرفت البشرية جماعات متطرفة عنيفة، لعلها كانت اقسى واشد عنفاً من التنظيمات الإرهابية التي يشهدها العالم الآن كـ(تنظيم القاعدة، وتنظيم داعش الإرهابي)، ومثالها النازية في أوربا والتي تمثل شكلاً واضحاً للتطرف العنيف في فكرة الانتماء للعرق، وتعنيف باقي الأعراق وتبرير مجمل الجرائم والحروب، بحجة الدفاع عن عرقٍ متميزٍ عن غيره من الأعراق؛ بل ومبرراً للحركة وافرادها بان يقوموا بإبادة الأعراق الأخرى، خاصة تلك الأعراق التي تقع في ادنى المستويات في مجموعة ترتيب الأعراق وفقاً النازيين كاليهود مثلاً، وقد اشعلت النازية حرباً عالمية كبرى وكان من ضحاياها ما يقرب من (20) مليوناً بين يهود وغجر ومئات الآلاف من المقعدين ومن المثليين ايضاً، حيث كانت النازية تبرر قتل الجميع ممن لا يتبعونها وكان من يتبعونها لا يسألون انفسهم عن افعالهم فموقفهم الأخلاقي وآراءهم مغيبة بمشيئة الانتماء للفكرة الواحدة، وهنا تماماً يتمثل المعنى العميق للتطرف العنيف[23].

(23) يُنظر بتصرف: عزمي بشارة، في ما يسمّى التطرّف، مصدر سبق ذكره، ص6؛ وينظر ايضاً: عبد الوهاب المسيري، ثالوث الشر (النازية- الصهيونية- معاداة السامية)، دار سطور الجديدة، 2005، ص42.

أي شخص يوصف بالتطرف او يتمسك برأيه بشكل مبالغ فيه يظهر كرهه للآخرين ويدرج وصفهُ شعبياً بانهُ فاشيّ لتصبحَ مُصطلحاً مُوازياً للتطرُف

فضلاً عن ذلك فإن الفاشية ايضاً حركة برزت في أوربا في عشرينات القرن الماضي، تشبه النازية في توجهها وعنصريتها ضد الآخر، بل وأصبحت حتى بعد سقوطها صفة ملازمة للتطرف، فإن أي شخص يوصف بالتطرف او يتمسك برأيه بشكل مبالغ فيه يظهر كرهه للآخرين ويدرج وصفهُ شعبياً بانهُ فاشيّ لتصبحَ مُصطلحاً مُوازياً للتطرُف[24]، وسيَّرت الحركات الصهيونية ايضاً عملها المتطرف على وفق النازية والفاشية، فهي حركة متطرفة عنيفة تميز اليهود عن باقي الأديان والاعراق، وترفض اندماجهم في المجتمعات الحاضنة لهم وتدعوهم للوجود في مكانٍ واحدٍ والتفافهم حول بعضهم البعض لكونهم «شعبُ الله المختار» وفق اعتقادهم[25].

(24) ليون تروتسكي، حول الفاشية: أوربا 1923-1940، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، تم زيارة الموقع الالكتروني بتاريخ 2020/3/25، على الرابط: https://www.revsoc.me/wp-content/uploads/%A%D8.pdf

(25) يُنظر بتصرف: يوسف حداد، هل لليهود حق ديني او تاريخي في فلسطين، المجلد الأول، بيسان للنشر، بيروت، 2004، ص45.

عُرف التطرف العنيف بانه تجاوز مرحلة الرأي المتعصب، والفكر الخاطئ إلى مرحلة الاكراه البدني الشديد وتصفية جسدية للخصم

وارغامه للانصياع إلى ارادته، أما تبني للفكر او استسلام مكره، فهو ظاهرة تعبر عن جملة من الأنشطة والفعاليات الحسية والجسمانية التي تتمثل بـ (المعتقدات، والاتجاهات، والمشاعر، والافتعال، والاستراتيجيات)، التي يتبناها الفرد او الجماعة المتطرفة، لتشكل حالة شاذة في المجتمع، تجد ذاتها في سلوكية العنف في رفض الواقع وتغييره نحو عقيدة الجماعة[26]، وتأتي تفسيرات أخرى للتطرف العنيف للإشارة الى معتقدات وافعال الأشخاص الذين يدعمون او يستخدمون العنف لتحقيق غايات (أيديولوجية، او دينية، او سياسية)، ويشمل ذلك الإرهاب وغيره من اشكال العنف الطائفي المرتبط بدوافع سياسية، كذلك يحدّدُ التطرف العنيف عادةً عدواً، أو أعداء، يشكلون موضوع كراهية وعنف، والأساس في مفهوم للتطرف العنيف هو أنّه لجوءٌ إلى استخدام العنف بدوافع أيديولوجية، ويقومُ عادةً على نظريات المؤامرة[27]، وعلى السياق التفسيري نفسه لمفهوم التطرف العنيف، عرَّفَت الوكالة الامريكية للتنمية الدولية (USAID) التطرف العنيف على انه «فعل مناصرة او الانخراط او التحضير او دعم العنف بدوافع أيديولوجية او تبريرية لتحقيق اهداف اجتماعية واقتصادية وسياسية»[28]، والملاحظ بان هذا التعريف لا يغطي الجانب المادي للتطرف العنيف فقط، بل يشمل الجانب النفسي الذي عادة ما يعده امراً مفروغاً منه.

سابعاً: من (التَّطَرُّف) الى ولادة (الإرهاب)

تُعد ظاهرة الارهاب معقدة وواسعة وخطيرة، فهي مراوغة الطبيعة، متعددة المكونات، عميقة الديناميات، متشعبة العواقب، تمس حياة الافراد والجماعات والدول في الصميم، في بقائهم وسلامتهم وامنهم واستقرارهم وانسانيتهم، ولذلك شكلت ظاهرة عالمية، وحفزت العالم على تخصيص موارد ضخمة لمواجهته، واستثارت واستقطبت الباحثين من مختلف التخصصات لتقديم تصورات وصفية وتفسيرية لنشوئه وديمومته وانكفاءه، اذ لا يمكن مواجهته الا بعد تكوين رؤية عميقة عن طبيعته وديناميته، وبناء استراتيجيات على

(26) للمزيد ينظر: سهاد إسماعيل خليل، التطرف العنيف بين المقاربات الاستراتيجية ومسارات المواجهة (نحو نهج استراتيجي جديد)، مجلة النهرين، العدد (5)، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، مجلس الامن القومي، العراق، 2018، ص72-73.

(27) What is violent extremism?, Important Information for Australian Communities, Australian Government, International Information Network (Internet), Site visit date (26/3/2020), on the link: https://www.livingsafetogether.gov.au

(28) The Development response to violent extremism and insurgency, UNITED STATES AGENCY INTERNATIONAL DEVELOPMENT, U.S.A.I.D From The American People, 2011, p.13, International Information Network (Internet), Site visit date (26/3/2020), on the link: https://www.usaid.gov/sites/default/files/documents/1870/VEI_Policy_Final.pdf

أساس تلك الرؤية لتفكيكه[29]، وان التفريق بين الارهاب والتَّطَرُّف هو مسألة شائكة جداً، وذلك لشيوع التَّطَرُّف والارهاب لهدف واحد، ويمكن رسم معادلة الاختلاف بينهما من خلال ان التَّطَرُّف يرتبط بالفكر والارهاب يرتبط بالفعل، فالتَّطَرُّف دائما يقع في دائرة الفكر، اما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى عنف يستخدم في مواجهة المجتمع والدولة، فهو عندئذ يتحول إلى ارهاب[30].

على الرغم من الاهتمامات الاكاديمية الواسعة لمفهوم الارهاب، هنالك اشكالية تتمثل بعدم وجود تعريف اممي له، ومرد ذلك إلى ان القوى الكبرى لم تتفق حول الموقف من حق الشعوب في الكفاح المسلح لمقاومة الاحتلال، وان لكل دولة تعريفاً خاصاً بها وفقاً لمصالحها[31]، وفي هذا السياق اشار (تشومسكي) بوضوح إلى الطبيعة السياسية المتغيرة لظاهرة الارهاب، معتبراً ان غياب التعريف المحدد للمفهوم يجعل كل دولة تحاول توظيفه لمصلحتها من خلال الادعاء بان ما يقوم به اعداؤها هو الارهاب، وبطبيعة الحال كلما كانت هذه الدولة اكثر نفوذاً استطاعت ان توظف هذا المفهوم بشكل افضل لخدمة مصالحها[32]. ولعلنا لا نغالي اذ قلنا ان مفهوم الارهاب أصبح مرهوناً بالمصالح التي تحذر من هذا الارهابي، ومن هو المناضل، كلاً حسب مصالحه وحساباته (سواء الايديولوجية أم الطائفية).

ارتبط الإرهاب في بدايته كظاهرة بأسباب شخصية ثم تحول الى وسيلة ضغط سياسي، ثم اصبح مؤسسة تنظيمية ربط العاملين فيها استباحتهم الأرواح والدماء باسم إرساء وحماية الدين

ارتبط الإرهاب في بدايته كظاهرة بأسباب شخصية ثم تحول الى وسيلة ضغط سياسي، ثم اصبح مؤسسة تنظيمية ربط العاملين فيها استباحتهم الأرواح والدماء باسم إرساء وحماية الدين، وللهدف الأخير تنامى وتصاعد يمين التطرف بفتاوى دعاة التكفير والموت، فاصبح الإرهاب في سوريا والعراق دعوياً ودموياً وصورة لما يجسده ارتباط الإرهاب بالتطرف، لذا متى ما صاحب هذا التطرف ارتكاب ما يشير الى العنف اصبحنا امام حالة التطرف العنيف المنتجة للإرهاب[33]، اذ ان الدفاع عن رأي

(29) لؤي خزعل جبر، مكافحة الإرهاب: عملية ثقافية ام مؤسساتية؟ المقاربات النفسية الاجتماعية لتفكيك الخطابات الإرهابية، اعمال المؤتمر العلمي الدولي السنوي لجهاز مكافحة الإرهاب المنعقد بتاريخ 10-11 نيسان 2021، جهاز مكافحة الإرهاب العراقي (ICTS)، بغداد، 2021، ص17.

(30) عبد الغفار عفيفي الدويك، معضلة تعريف الارهاب في الفكر والممارسة الدوليين، مجلة السياسة الدولية، العدد (210)، مركز الاهرام للدراسات، القاهرة، 2017، ص12.

(31) عبد الحسين شعبان، التطرف والإرهاب: إشكاليات نظرية وتحديات عملية مع إشارة خاصة الى العراق، مجلة المستقبل العربي، العدد 463، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2017، ص137.

(32) محمد عزيز شكري، الارهاب الدولي والنظام العالمي الراهن – حوارات القرن الجديد، دار الفكر العربي، دمشق، 2002، ص204.

(33) طيبة جواد حمد المختار، دور لجان مجلس الأمن لمكافحة الإرهاب في محاربة التطرف العنيف، مجلة اهل البيت (ع)،

العدد (23)، جامعة اهل البيت، 2018، ص194.

المتطرف او الموقف قد يأخذ منحاً عنيفاً، فيصبح المتطرف بسلوكه العنيف عنصراً ضاراً بالمجتمع يقود الاخرين نحو استئصاله، حيث يخرج التطرف العنيف من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري؛ إلى طور الممارسة والتطرف السلوكي (الإرهاب)، والذي يعبر عن نفسه بأشكال مادية من اعمال قتل وتفجيرات وتصفيات واستخدام لوسائل العنف المادي المختلفة لتحقيق بعض الأهداف، وعادة ما يكون التطرف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاسا للتشبع بتطرف سابق في الفكر والقناعات والاعتقادات.

ثامناً: سمات الشخصية المتطرفة

إن التطرف، وحاله في ذلك حال الطبائع والسمات الإنسانية كلها، ليس من الطبائع والسمات التي تنتقل من الأجيال السابقة الى اللاحقة بالوراثة البيولوجية، ولكنه طبيعة وسمة اجتماعية مكتسبة تنتقل بين الأجيال بالصناعة الإنسانية للإنسان فرداً ومجتمعاً، فالإنسان الطبيعي لا يولد متطرفاً، ولا حتى معتدلاً، بل يولد ولديه استعدادات أولية للتطرف أو الاعتدال (حسب ما تمليه البيئة المحيطة به)[34]، اذ تقف خلف كل سلوك جملة دوافع وعوامل تفسر أسباباً كامنة وتعلل انتهاك سلوك معين، و ان معظم الأشخاص يوجد في تكوينهم العقلي والنفسي خصائص وسمات التوازن والاعتدال، وهذه قيم إنسانية رفيعة، والشخص يكون متكاملاً من الناحية النفسية والاجتماعية عندما يلين للآخرين ويكشف هدفاً مشتركا من خلال الاختلافات الحاصلة في مسيرة الحياة باذلاً الجهود العقلية والانفعالية والاجتماعية وحتى الجسمية من اجل الاتفاق مع غيره، لان السلوك المتكامل اجتماعياً يمتاز بالتلقائية، والمرونة، والديناميكية، والتغير وهذه المفاهيم تمثل الوسطية والاعتدال، وبعيدة كل البعد عن الغلو

فالإنسان الطبيعي لا يولد متطرفاً، ولا حتى معتدلاً، بل يولد ولديه استعدادات أولية للتطرف أو الاعتدال (حسب ما تمليه البيئة المحيطة به)

(34) علي عباس مراد، التطرف صناعة إنسانية، مصدر سبق ذكره، ص293.

والشخص يكون متكاملاً من الناحية النفسية والاجتماعية عندما يلين للآخرين ويكشف هدفاً مشتركا من خلال الاختلافات الحاصلة في مسيرة الحياة باذلاً الجهود العقلية والانفعالية والاجتماعية وحتى الجسمية من اجل الاتفاق مع غيره

والمبالغة والتطرف؛ وكون المجتمعات الإنسانية تعيش في السنوات الأخيرة جملة من الازمات النفسية والاجتماعية والسياسية التي اسهمت في تكوين بعض أنواع السلوك غير السوي، وقد يرافقها احياناً مظاهر التوتر او الضيق او الخوف من التغيرات المفاجئة التي قد تحدث، وقد انتشرت ظاهرة التطرف والبعد عن الوسطية، وولدت أفعال حدية، مست بوحدة المجتمعات الوطنية وتماسكها. ولقد حدد بعض السيكولوجيين دوافع السلوك البشري، منها ما هو على مستوى الفرد في مشاعره واحاسيسه وافكاره وميوله وحاجاته وطريقة ادراكه لما هو محيط به، ومنها ما هو مرتبط بالمجتمع وما فيه من نظام ومبادئ وقيم تعمل عملها وتؤثر على الفرد بصورة او بأخرى مما يجعل استجابات الفرد او سلوكه الذي يقدم عليه محكوماً او متأثراً بهذه الاعتبارات الذاتية والاجتماعية[35].

التطرف ليس نتاج شخصية محددة، فالشخصية بحد ذاتها لا تكون متطرفة، فالتطرف قد يكون اتجاه فكري اكثر من كونه حاجة نفسية، والتطرف كفكر بحد ذاته قد يلتقيه افراد وينجذبون اليه لأسباب اجتماعية ونفسية بشكل أساس

بعبارة أخرى التطرف ليس نتاج شخصية محددة، فالشخصية بحد ذاتها لا تكون متطرفة، فالتطرف قد يكون اتجاه فكري اكثر من كونه حاجة نفسية، والتطرف كفكر بحد ذاته قد يلتقيه افراد وينجذبون اليه لأسباب اجتماعية ونفسية بشكل أساس، وان من يتأمل شخصية المتطرف يجد خللاً واضحاً في طريقة التفكير وطريقة التحليل وطريقة العمل والأداء وكل ذلك راجع الى اختلالات نفسية وعقلية، ناتجة عن ترسبات اجتماعية او اقتصادية او شخصية (وهذا ما سنبينه في الفقرات القادمة)، وان التطرف ليس نتاج قراءات دينية او اجتهادات فكرية تمخضت في النهاية على أطروحة الغلو والتطرف، اذ يستدعي التطرف بمعناه الشائع المقترن بالغلو والمبالغة والتشدد، يتطلب انغلاق المتطرف على ذاته، وتعصبه لرأيه، بما يؤسس في النهاية لرفض الآخر المختلف عنه، متطرفاً كان أو معتدلاً، ومحاربة افكاره ومعتقداته، طالما ان المتطرف فرداً كان ام جماعة، يعتقد في نفسه وافكاره الصواب المطلق والصلاح الكامل

(35) عباس علي شلال، التطرف سلوك أما .. أو، مجلة ثقافتنا، العدد (8)، وزارة الثقافة، دائرة العلاقات الثقافية العامة، العراق، 2010، ص116.

والنهائي، ولا يقبل حتى مجرد التفكير في تغيير آرائه وقناعاته، ويرفض تعدد الآراء ووجهات النظر، ولا يرضى بالحوار مع الآخر أو التعايش معه ومع أفكار، وبحكم ما يقترن بالتطرف من التعصب والانغلاق على الذات والمعتقد، فإنه يوصل صاحبه في النهاية إلى حدود الاعتقاد بان الاخر المختلف لا يستحق حتى ان يوجد ولا ان يستمر في الحياة؛ بوصفه خارجاً عن العقائد التي يؤمن بها المتطرف ومخالفاً لما يؤمن به، اذ يولد التطرف على (المستوى السلوكي) الرغبة لدى الافراد في ازالة أو محو الجماعة الاخرى من الوجود ما يهدد أمن الهُويات الثقافية في المجتمع، وقد تؤدي المشاعر ايضا إلى تشكيل حركات واحزاب متطرفة وعرقية تؤسس حملاتها على كراهية الطرف الاخر، كما تجعل حالة التعايش السلمي بما تتضمنه من مشاعر ايجابية بعيدة المنال ويصبح مفهوم التسامح صعبا تقبله[36]، وعلى ذلك لابد لنا ان نحدد سمات الشخصية المتطرفة، وفي هذا الصدد فإنه من الممكن القول بأن المتطرف هو شخص يتصف بـ (التصلب)، والتمسك الفكري او العقائدي (الجمود الفكري)، والتعصب، والهوس العقائدي.

1. المُتطرف مُضطرب نفسياً:

يوصف بعض السيكولوجيين، ان المتطرف مصاب بحالة مرضية عقلية تنعدم فيه القدرة على اعمال العقل بطريقة مبدعة، كما هو مرض عاطفي (وجداني) يتسم بالمحبة أو الكراهية المطلقة، لا يتسامح مع الاخرين، لاعتقاده أن ما يعتقدون به هو الصحيح، ولا مجال لمناقشته فالمتطرف مفرط بالتعصب والتشدد في أمر عقيدة ما، ومفاده أن الآخرين على خطأ، ومعتقده هذا صالح لكل زمان ومكان، ثم يتطور سلوكه نحو العنف لفرض معتقده بالقوة (خصوصاً اذا انخرط بتنظيم يهدف الى ذلك)، ويخلق الفوضى ويهدر الحريات العامة[37].

المتطرف مصاب بحالة مرضية عقلية تنعدم فيه القدرة على اعمال العقل بطريقة مبدعة، كما هو مرض عاطفي (وجداني) يتسم بالمحبة أو الكراهية المطلقة

(36) ينظر بتصرف: داليا رشدي، اليات صناعة الكراهية وطبيعة الانظمة السياسية، ملحق اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد (199)، مركز الاهرام للدراسات، القاهرة، 2015، ص7.

(37) Randy borum, Psychology of Terrorism, University of South Florida, U.S.A, 2004. P.33.

2. المُتطرف مصاب بالبارا نويا (جنون الارتياب):

وهو نمط تفكير ينجم عن الشعور غير منطقي بفقد الثقة بالناس، ومن مسبباته اضطراب الشخصية المرتابة، واضطراب الوهام (عدم التفريق بين الحقيقة والوهم)، وانفصام الشخصية، وتأتي هنا احد المقاربات التي تفسر سمات الشخصية المتطرفة، وتبين هذه المقاربة الى أي حدٍ هناك افراد يعيشون حالة نفسية هشة، تحمل في وعيها/ لا وعيها العديد من الاستهامات والهلوسات التي تصل الى حد التضحية بالنفس، ويبدأ ذلك كله بالقناعات الفكرية التي تتحول الى سلوك (مرضي) في ما بعد، ويفترض هذا التحليل السيكولوجي ان بعض الحالات المرضية يُولّد القابلية للميول الانتحارية[38].

3. سيطرة الميخال[39]* البطولي:

يوصف التطرف بهذا الصدد هو رد فعل تقمصي ميثولوجي، بمعنى انه يقوم على تقمص اسطوري لنماذج يختارها المتطرف، ابطالاً ووضعيات، فيقيم مماثلة بينها وبينه، بطلاً ووضعيته، وبين خصمه وخصم ذلك البطل والوضعية، موظفاً في ذلك نصوصاً وشهادات ووقائع تحمل معها مصداقيتها، أما لأنها دينية، وأما لأنها تنتمي الى (الرأسمال الرمزي) للجماعة مخيالاً للقبيلة وتراث الأجداد، ومن المماثلة الى المطابقة، فيتحول المتطرف الى بطل فوق التاريخ، يعلو على وضيعته الاجتماعية الثقافية ويعيش (صادقاً مع نفسه) على مستوى المثل الأعلى، المستوى الذي يتحول فيه كل شيء الى (عقيدة) وموضع للتضحية[40].

4. التنافُر المعرفي:

وهي سمة يكون خلفها دافعاً نحو تناغم الاتجاهات ومكوناتها وأن أي حدث يتدخل في هذا التناغم يؤدي الى حالة من التنافر المعرفي يستشعره المرء كحالة من التوتر وعدم الراحة، ويدفع هذا التوتر المرء كي يعيد التوازن الذي اختل بان يغير من اتجاهاته او مكونات هذه الاتجاهات بحيث تصبح متفقة مع باقي النظم، وهكذا فان التنافر

التنافر المعرفي هو قوى دافعية ترغم المرء على تغيير آرائه او سلوكه، او التقليل من أهمية العناصر القائمة في هذه العلاقات غير المتناغمة

(38) Farhad Khosrokavar, Le Nouveau Jihad en occident, Paris, 2018, P.411.

(39)* يعد المخيال من المفاهيم الحديثة في العلوم الاجتماعية والنفسية، أسسه الفيلسوف الفرنسي (جيلبير دوران)، ويقصد بالمخيال الظهور التمثيلي -تقليد المظهر-، والقدرة على الترميز التي تنبثق منها باستمرار جميع الهواجس والآمال وثمارها الثقافية منذ المليون ونصف المليون سنة لظهور الانسان المنتصب على وجه الأرض، وان استيعاب مفهوم المخيال وبنيويته ووظيفته، يستلزم عرض اركانه (العلامة والصورة الرمز) ولاسيما في دلالتها المخصوصة ضمن منهجية بحوث المخيال، فالصورة هي الكل الذي يُعنى بوظائف إعادة الإنتاج – فعل التقليد او المحاكاة – والصورة هي تمثل ذهني مرتبط بانموذج محدد، وهي الشكل الأول الذي يحتضن النشاط التخيّلي للإنسان، والعلامة هي الوحدة الأساسية لنسق المعاني والدلالات، في حين ان تحليل أنماط الدلالة خاص بعلوم اللغة: بخلاف المحاكاة وصيرورة العلامات، فعملية الترميز هي التي يختص بها المخيال، والرمز يمكن ان يكون اما صورة وأما كلمة، ويتضمن سيرورة معقدة تتطلب الماماً شاملاً بعلوم الانسان حتى يتم ادراكها.. للمزيد ينظر: فالتاينا غراسي، مدخل الى علم اجتماع المخيال نحو فهم الحياة اليومية، ترجمة: محمد يعبد النور وسعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2018، ص15-18.

(40) محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص162.

المعرفي هو قوى دافعية ترغم المرء على تغيير آرائه او سلوكه، او التقليل من أهمية العناصر القائمة في هذه العلاقات غير المتناغمة، ولعل هذا التفسير يوضح لنا السبب في التحقير الذي يلصقه الارهابيون بضحاياهم حيث يصفون الضحايا بالخنازير، او أعداء الإسلام.. الخ، وهي الفاظ من شأنها ان تعفي الإرهابي من احساسه بإيذاء الأبرياء[41].

(41) عــزت سـيـد إسماعيل، سيكولوجيا التطرف والإرهاب: اطـار نظري وتطبيقي ميداني، حوليات كلية الآداب، العدد (16)، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، 1996، ص35.

5. الاختلاف في الخصائص:

يبين (فيبلور خسرو خافر) نموذجاً مقارناً يبين من خلاله خصائص كل فئة متطرفة على حدة، ممن يتوزعوا على الجنسيات الغربية، ويسبر اغوار التمازيات بين المتطرفين؛ اذ المتطرفون الذين ينتسبون الى فرنسا لا يشبهون أولئك الذين ينتسبون الى إنكلترا، وذوو الأصول التركية أو الباكستانية او البنغالية، الذين عرفوا الاستعمار ليسوا كالذين لم يعرفوه، والذين ينتمون الى أسر مسلمة ليسوا كالذين عرفوا تحولاً دينياً في حياتهم من المسيحية إلى الإسلام، أو من خلال الأجيال المهاجرة، فثمة فوارق بين أبناء الجيل الأول والثاني والثالث من المهاجرين، ويسعى (خافر) من خلال هذه المقاربة المقارنة لاستخلاص نماذج اسماها (البروفايل الجهادي) الذي تتميز به كل دولة غربية على حدة، ويمكن حصر هذه النماذج البالغة تسعة بروفايلات بالآتي[42]:

(42) رشيد جرموني، الجهاد الجديد في الغرب، مجلة عمران، العدد 37، المركز العربي للأبحاث ودراســة السياسات، الدوحة، 2021، ص162-165.

• هناك فئة الشباب الذين يعيشون أوضاعاً اجتماعية واقتصادية صعبة جداً، ويلجؤون الى الإرهاب، للتخلص من الاخرين كنوع من أنواع اللاعدالة الاجتماعية.

• فئة الشباب من الجيل الثاني والثالث من أبناء المهاجرين ممن وقعوا في نوعين من الهشاشة، الاقتصادية والاجتماعية، عبر ما يتعرضون له من وصم اجتماعي، ما يجعلهم على هامش المجتمع، ويصبحون عناصر مهيأة للانخراط في الحرات الإرهابية (التي لا يعتقدون انها كذلك، بل يجدون فيها نوعاً من الاحتضان جراء انكسارهم النفسي)، رغبةً منهم في تحقيق انعتاق من هذين الاستعبادين.

• فئة المتحولين الدينيين الذين أصبحوا غير منسجمين مع منظومة القيم الأورو – أمريكية ووجدوا خلاصهم فيما تقدمه حركات الجهاد التي تعتبر في نظرهم نموذجاً من الدين المخلص والمحرر من كل الوثنيات التي كانوا غارقين فيها.

• فئة الذين يؤمنون بنظرية المؤامرة المتجلّية في الهيمنة الأورو – أمريكية على المجتمعات المسلمة، ويعدون ذلك استكباراً منهم، وان الأطراف التي ستقف في وجههم هي حركات الجهاد المقدس.

• فئة الذين يعانون اضطرابات عقلية، ويعيشون اوضاعاً نفسية صعبة، ما يدفعهم الى الارتماء في أحضان من يقدم لهم الجواب عن حيرتهم ويجدونه في حركات الجهاد الديني.

• فئة المراهقين وما قبل المراهقين الذين يعيشون بدورهم في قلق جيلي، ويريدون الخروج من وضعية المراهقة كي يصبحوا ابطالاً مشهورين.

• فئة النساء اللواتي لم يجدن في نمط الحياة النسوية ذواتهن، ومن ثمّ ولّدت أزمة الانتماء (استيهامات) نحو تشييد اسرة ابوية يكون المركز فيها أولاً وأخيراً للرجل المجاهد الذي يقاوم ضد الظلم والاستكبار.

• نجد بروفايل للجهاديين الذين عاشوا ازمة هوية مع البراديغم العلماني، وبصفة خاصة (اللائكي) الذي يعدونه غير ملائم لنظرتهم الى العالم.

• نجد البروفايل الذي يرفض قيم الحرية كما هي مطبقة في العالم الغربي، ويعتبرها مسؤولة عن (ضياع) المعنى عند الانسان المعاصر، ويتجلى نقدهم قيم الحرية ليس في اطلاقيتها، بل الحرية الجنسية المطلقة وقيم الفردانية الممزقة للحمة الاجتماعية، وقيم الاستهلاك المفرط المفضي الى حالة التصدع الوجودي وسيادة لقيم السوق، وما الى ذلك من مظاهر العصر ما بعد الحداثي[43].

(43) المصدر نفسه، ص165.

6. العُزلة:

يختار المتطرف العزلة هارباً من تعقيدات الحياة وتداخل الأمور

وتشابكها مفضلاً الحرية في الفراغ، واذا كان المتطرف لا يصدر عن العقل؛ فمن البديهي ان يصدر عن نقيض العقل؛ أي (العاطفة) والانفعال والهوى، لذلك كان التطرف دوما عبارة عن رد فعل وليس الفعل، ومصدر ردود الأفعال هو الإحساس، وهو فاعلية بديلة وليس التفكير الذي هو فاعلية عقلية، ثم ان مواقف المتطرف ذاتية تصدر عن فكرة (انا وحدي)، في مقابل الموقف العقلاني، وهو النقيض للتطرف، ويتسم الموقف العقلاني بالتجرد عن الهوى والعاطفة والنظر الى الأمور كما هي في ذاتها بقطع النظر عن موقف الذات منها، وهذه هي الموضوعية التي تقوم على الاعتراف بجميع الأطراف والاعتراف بالاختلاف، مما يجعل الحوار ممكنا، وهكذا فالمتطرف قبلته الذات، اما الموقف العقلاني فوجهته العالم، من هنا نصل الى تحديد ماهية الموقف المتطرف بأنه: (موقف ذاتي يلغي العالم، يختزله بنظرة سحرية تجعل الرغبة نتيجة وتقفز اليها قفزاً، تلغي الفوارق وتطمس الاختلاف وتعدم الآخر)[44].

7. التبلد الجمالي:

يدأب المتطرفون على تقديم أنفسهم على أساس أنهم حماة الفضيلة، وأن قيمة الخير هي وحدها ما يحوز اهتمامهم، ومن خلال هذا الإيهام يحاولون إقناع الآخر بوجود تعارض بين الخير والجمال، فإذا كان الأول ضمان للحياة الملتزمة بدواعي الأخلاق وواجبات الفضيلة، فإن الجمال في مقابل ذلك -حسب رؤيتهم- هو نافذة الغواية والفتنة التي يبث منها الشيطان وساوسه وأضاليله، من هنا، فهم يشنّون حملة على الفنون الجميلة[45]*، تحت ذريعة حماية الأخلاق والخير، محاولين صرف الناس عن كل ما من شأنه أن ينمي ذوقهم الفني ويطوّر حسهم الجمالي، متناسين أن المعتقدات الدينية والروحية اهتمت بالأبعاد الجمالية، فليس هناك من آلية تعبّد في العقائد السماوية إلا وهي مدعومة بأحد صور الجمال[46].

8. التصلُّب:

يوصف المتطرف بالاحتفاظ باتجاه أو رأي والتمسك به حتى

(44) عزت سيد إسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص118-120.

(45)* ومن ابـرز الشواهد على ذلك، قام تنظيم داعش الإرهابي بحرق الآلات الموسيقية في المناطق التي كان يسيطر عليها في ليبيا، وقام بهدم المتاحف والآثار في العراق وسورية، وحرَّم الموسيقى والرسم ومنع تدريسهما في مدارسه، وحقيقة الامر ان هذا التنظيم، مثله مثل باقي الجماعات الظلامية، يخاف من النور الذي يمنحه الفن، ويخاف من تأثيره في تكوين الشخصية السوية المتوازنة التي لا تزال عصية على التنظيمات الإرهابية، بوصفها تشكل اهم عقبة أمام نمو ثقافة الموت والقتل... للمزيد ينظر: وفـاء صـنـدي، داعـش شرعنة التوحش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2020، ص377.

(46) المقاصد الجمالية في مكافحة التطرف، المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف (اعـتـدال)، شبكة المعلومات الـدولـيـة (الانـتـرنـت)، تاريخ زيـــارة الموقع 2021/6/14، على الرابط: https://:etidal. org/org/%D8%A7%D9%84

ولو كان بعيداً عن الصواب[*(47)]، وتشير العديد من التفسيرات الى ان التصلب هو انخفاض في القدرة على (عدم تعلم) ما هو قائم ومستقر من فكر ونظام سلوكي، فالمتطرف يفشل في التعلم من جهوده الخاطئة، أي يفشل في إلغاء تعلم حالة سبق له ان تعلمها وثبت فشلها، وهذا (الاستقرار) والجمود لتلك الأنماط المتعلمة لا يفسح الطريق أمام تعلم جديد، وهكذا فان المتطرف يتضمن مقاومة للتغير[(48)]، ووفق هذا المعنى لا يتحسس المتطرف للظروف والاحوال التي يمكن ان تسهم في تعديل او تغيير وجهات نظره، ويتعامل مع من يكن له مشاعر الكراهية والعدوان بأساليب متصلبة.

9. الدوغماطيقية:

وهو مصطلح يعني الجمود العقائدي والانغلاق العقلي، والتطرف هنا بارتباطه بالدوغماطيقية هو أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل اية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص او الجماعة او التسامح معها[(49)].

1. **التمسك الفكري او العقائدي (الجمود الفكري):** وهو حالة من التعصب العقائدي، والأساس فيه يرتكز على عمليات ذهنية ونفسية مترابطة، وقد وجد علماء النفس ان الجمود الفكري يرتبط بـ «الحذر المعرفي»، الذي يدفع الى اتخاذ قرارات غير واعية وبطيئة ودقيقة، وتكمن صفات الجمود الفكري للمتطرف، بممارسات معدومة الادراك منها[(50)]:

أ. **الحكم المسبق** دون التحقق في أسباب هذا الحكم ومبرراته ودواعيه.

ب. **التعميم:** الذي يشمل الجماعات الأخرى منطلقاً في الغالب من سوء الحكم، اذ يفكر العديد من المتطرفين بطريقة (التعميم) فمثلاً يكون من السهل عليهم نعت من يتبع دين او فكر معين بأنهم فاسدون لمجرد أن واحداً من اتباع هذا الفكر ارتكب خططاً او جريمة ما.

(47)** يلجأ المتطرف دائمًا إلى الخداع والتزييف بالشكل الذي يضمن له حشد أتباع في المجتمع المتواجد به بل والتأثير فيهم حد إلغاء قدراتهم العقلية والنقدية في كل ما يتلقونه من أفكار أو أطروحات، مستهدفًا في المقام الأول صغار السن منهم، عبر بلاغات حماسية أو مرويات زائفة، ليكون هؤلاء الصغار في جُل الحالات وسيلته الرئيسة نحو تقويض استقرار المجتمعات التي يستهدفها... للمزيد ينظر: الصحة المعرفية، المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف (اعتدال)، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، تاريخ زيارة الموقع 2021/6/14، على الرابط: https://:etidal.org/%D9%87%D8%A7%D9%84

(48) عزت سيد إسماعيل، مصدر سبق ذكره، ص28-29.

(49) عماد الدين إبراهيم عبد الـــرزاق، جينولوجيا التطرف والعنف في الفكر الإسلامي الخوارج انموذجاً، في مجموعة مؤلفين، تأويلات العنف، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2019، الرباط، ص184.

(50) فيصل خليل عبد الهادي الغويين، التعصب والتطرف: المفهوم والدوافع واستراتيجية المواجهة، رسالة المعلم، العدد (1)، وزارة التربية والتعليم، إدارة التخطيط والبحث التربوي، الاردن، 2016، ص15-16؛ وينظر ايضاً: توفيق حميد، الجذور الفكرية للتطرف، موقع قناة الحرة، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، تاريخ زيارة الموقع 2021/12/28، على الرابط: https://www.alhurra.com/different-angle/2021/12/10/

ج. **الاسقاط:** ومن خلاله يعزو المتطرف دوافعه وافكاره المشحونة بالخوف الى الغير تهرباً من الاعتراف بهم.

د. **التنميط:** فمن المؤكد ان تسهم عناصر عدة في تشكيل مشاعر المتطرف، منها: (الأفكار الدينية، الخوف من الغرباء، التشدد) وقد ينشأ التنميط عندما تخشى مجموعة متطرفة ما ان يحرمها تنافس مجموعة أخرى من الهيبة والمزايا والقوة والسياسة أو الفرص الاقتصادية، وهو يـؤدي الى حالة مرضية على المستوى الفردي والجماعي، تدفع الى سلوكيات غير سوية، والابتعاد عن العقل، والاستهانة بمعتقدات الاخرين، الأمر الذي يؤدي الى انكار الحقوق الإنسانية والسياسية للفئات الأخرى، وهدم البنى الاجتماعية.

الاسقاط: ومن خلاله يعزو المتطرف دوافعه وافكاره المشحونة بالخوف الى الغير تهرباً من الاعتراف بهم

10. تنوع المساعي والاهداف:

فمنهم يسعى وراء المكانة والبحث عن احترام الاخرين وتقديرهم له، والساعي وراء الهوية والشعور بالانتماء والبحث عن كيان ذي مغزى لرسم هويته او شعوره بذاته من خلال الانتماء الجماعي، والساعي وراء الاثارة سعياً للمجد المغامرة، والساعي وراء الانتقام والبحث عن متنفس يتخلص فيه من المشاعر تجاه شخص معين، او مجموعة، او كيان، قد يراه على خطأ[51].

11. التناقض الأخلاقي

ويمكن وصفها بالتالي:

1. غالباً ما يدعي ويصف المتطرفون انفسهم بالسمو الأخلاقي، ومع ذلك فان الأبرياء هم غالبا ضحايا العدوان المتطرف[52].

2. ضعف الأنا العليا وسيطرة الذات الدنيا (الهوى) أو النفس الأمارة بالسوء: يتصرف الشخص المتطرف في هذه الحالة وفق هواه أو الإيحاءات الخارجية الصادرة ممن يعتقد أنهم رمز للقوة والحرية والمثل الأعلى له وتتكون هذه الشخصية عادة لدى الأشخاص الذين يشعرون بالنقص في ذواتهم، ولدى من تعرضوا لتربية قاسية أو لدى

(51) المقاتلون الارهـابـيـون الأجانب، دليل لمعاهد التدريب القضائي في بلدان الشرق الأوسط وشمال افريقيا، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، فيينا، 2021، ص12.

(52) حسنين علي الحسناوي ونبيل عمران موسى الخالدي، التطرف الفكري واثـره على هوية الشباب الجامعي.. رؤية سوسيولوجية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد (44)، جامعة واسط، 2022، ص512.

الأشخاص الذين لم يحققوا ذواتهم ولم يجدوا من يأخذ بأيديهم أو يحتويهم[53].

3. هذاءات العظمة: يمكن أن ييسر التورط في عنف أو حرب مدمرة، فهذاءات العظمة هو عرض مرضي عقلي، ويعني اعتقادا يسود فكر المريض بأنه شخص عظيم، دون أن يسند هذا الاعتقاد واقع يدعمه[54].

4. هذاءات الاضطهاد: تعد هذاءات الاضطهاد من أعراض المرض العقلي، ويمكن أن يحفز المتطرف إلى بدء حرب أو شن إرهاب أو عمل إرهابي، أو إلى تفضيلها، ففي هذا يعتقد المتطرف في دعاوى زائفة بأن الآخرين يكيدون للإضرار به، أو تدميره هو، أو بلده الذي يحكمه ويقوده، أو إلى فكره أو منطقه أو قيمه التي يؤمن بها، ولذا فإنه يصبح متشككا ويفضل أن يأخذ موقف الهجوم[55].

تاسعاً: ملاحظات ختامية

1. ان كل تعريف للتطرف من دون البعد الأخلاقي في مرحلة تاريخية ما، هو تعريف نسبي لا يرتبط بالهدف والوسيلة، بل بموقع حامله في النظام الاجتماعي – السياسي القائم، وإن الطريقة الوحيدة للحكم على التطرف بصورة عامة، هي النظر في الظواهر من منطلق مبدأ ما، او فكرة ما، تتناقض مع الواقع القائم وتنفيه، ولكن هذا لا يكفي، فالتطرف هو الذهاب الى الحد الأقصى في استنتاج ما يجب استنتاجه من هذا التضارب بين الفكرة والواقع القائم، ويذهب الاستنتاج الى أقصاه دون اخذ أي شيء آخر في الحسبان، لا مبادئ العدل، ولا الاخلاق، ولا حقوق الانسان؛ أي إن تطرف الفكرة سواءً كانت دينية، ام طبقية، ام قومية، ام رأسمالية، ام اشتراكية، يجعلها مطلقة الى درجة رفعها فوق العوامل الأخلاقية وجعلها اكثر قدسية منها، وعليه منح الذات حق تجاوز الاحكام الأخلاقية وعدها ثانوية.

فالتطرف هو الذهاب الى الحد الأقصى في استنتاج ما يجب استنتاجه من هذا التضارب بين الفكرة والواقع القائم

2. ان التَّطَرُّف من القضايا ذات الطابع النسبي، والتي ترتبط مدلولاتها

(53) سيد احم منصور وزكريا احمد اشربيني، سلوك الانسان بين الجرمة العدوان والإرهاب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص249.

(54) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار المعارف، الإسكندرية، 1985، ص574.

(55) حيدر محسن الشويلي، دور التربية في مكافحة الإرهاب واثاره النفسية، في جهاز مكافحة الإرهـاب والتحديات الوطنية والإقليمية والـدولـيـة، اعمال المؤتمر العلمي الدولي السنوي لجهاز مكافحة الإرهاب المنعقد بتاريخ 10-11 نيسان 2021، جهاز مكافحة الإرهاب، بغداد، 2021، ص329.

بالتطورات التي يشهدها المجتمع، فهو من القضايا التي تعد منتج جانبي لعملية التحديث التي يمر بها المجتمع، وعليه فان ما يعد تطرفاً في لحظة ما قد لا يعد كذلك في مراحل أخرى، زيادة على ان تفسيرات التطرف نسبية وغامضة، متوقفة على حدود القاعدة الاجتماعية والأخلاقية التي يلجأ اليها المتطرفون الى ممارستها.

3. للتطرف دلالة عامة على كل اشكال الغلو والمبالغة سواء في التشدد او التساهل، فليس المتطرف من يتجاوز حد التوسط والاعتدال في تشدده في التفكير والسلوك فحسب، بل والمتطرف من يتجاوز حد التوسط والاعتدال في تساهله في التفكير والسلوك ايضاً، ولكن الغالب على التطرف استخدامه لوصف الغلو والمبالغة في التشدد (الافراط) دون الغلو والمبالغة في التساهل (التفريط).

4. يمكن عد التطرف بانه ظاهرة مرضية (باثولوجية) على المستويات النفسية الثلاث (العقلي/ المعرفي، والعاطفي/ الوجداني، والسلوكي).

5. لا يقتصر التطرف على فرد او جماعة دون غيرها، ولا على زمن دون سواه، ولا على موضوع دون آخر، ولا ينحصر في جانب فحسب، فأبعاد التطرف متعددة عقلية (فكرية)، وعملية (سلوكية)، واشكال التطرف متنوعة سياسية، وثقافية، واجتماعية، وموضوعاته مختلفة عرقية ودينية ومذهبية... وغيرها، عليه لم يعد التطرف قضية دينية فقط، ولا دوافعه دينية بحته؛ بل من الممكن وجوده في مختلف ممارسات الحياة اليومية، فقد يكون التَّطَرُّف في الفكر أو السلوك أو فيهما معاً، وقد يكون في الماديات كالجلوس أو المشي، وفي المعاملات داخل الأسرة أو مع أفراد المجتمع، وقد يكون التَّطَرُّف في المجال السياسي حيث يكون رجل السياسة متسلطاً لا يقبل الحوار والرأي الآخر، ومن المهم في هذا السياق، لفت الانتباه إلى اهمية تحديث وتطوير التصورات والمدركات المتداولة في الدوائر الدينية والثقافية والسياسية والأمنيّة

لم يعد التطرف قضية دينية فقط، ولا دوافعه دينية بحته؛ بل من الممكن وجوده في مختلف ممارسات الحياة اليومية

حول اسباب التَّطَرُّف ومن ثم سياسات واستراتيجيات مواجهته، وذلك من خلال مناقشة عدد من القضايا التي تساعد في تحديث وتطوير هذه المدركات.

6. لابد من توكيد حقيقة انه يصعب دمغ حضارات او ثقافات او شعوب بعينها او مراحل تاريخية او نطاقات جغرافية – ثقافية بعينها، بأنها (متطرفة) بوجه مطلق، وفي الوقت نفسه لا يمكن اتهام (الطبيعة الإنسانية) مطلقاً بالتطرف، ذلك لان كل درجات (التطرف) ونظيره (الاعتدال) توجد في الحالات الإنسانية جميعاً.

7. اذا كان التطرف هو رد فعل غاضب على الإهانة والاذلال والظلم وهذا الفعل ليس حالة مرضية عصابية (باثولوجية) بالضرورة، وإن عوامل دوافع اعتناق هذا الفكر والانتماء الى التنظيمات الحاضنة له قد تكون ايضاً دوافع بيئية واجتماعية وفكرية وليست بالضرورة نفسية (وهذا ما سنحاول التفصيل فيه في الورقات القادمة)، ويبدو ان تفسير التطرف يتطلب التدرب على التحليل العقلاني للأوضاع لتغليبه قدر الإمكان على الردود النفسية الانفعالية، مع التسليم ان التحليل النفسي لدوافع اعتناق التطرف وسمات الشخصية المتطرفة يجب ان لا يتم خلطها مع التحليل السياسي.

التطرف نتاج ازمة نفسية اجتماعية عقلية، حرفت فكر الشخص من طريق التوسط والاعتدال الى طريق الغلو والتطرف والتشدد والتعنت

8. التطرف نتاج ازمة نفسية اجتماعية عقلية، حرفت فكر الشخص من طريق التوسط والاعتدال الى طريق الغلو والتطرف والتشدد والتعنت، فالمتطرف لا يرضى بالوسطية ولا يشعر بالرضا والارتياح، الا في الزاوية المتطرفة الضيقة، وهذا يدل على ان المتطرف يعاني من خلل نفسي وعقلي يمس شخصيته الذاتية، وحين يقترن التطرف بالعنف والاعمال العدوانية التي تفزع الناس وتهدد الامن والأشخاص الآمنين وتقلق أمن المجتمع يصبح من الاعمال الإرهابية.

9. ان الاعتقاد في امكان القضاء على الارهـاب، عبر الادوات العسكرية والامنية وحدها، مع اغفال العوامل المؤسسة لهذا

الارهاب، او البيئة المنتجة له هو اعتقاد خاطئ؛ وعليه اصبح من الضروري ادراك ان القضاء على الجماعات الارهابية او اضعافها، بدون ان تظهر تنظيمات اكثر خطراً، يتطلب فهماً عميقاً للمداخل التي تسبب التَّطَرُّف وتولد الارهاب، مع التسليم على ان التَّطَرُّف ليس ارهاباً في حد ذاته ولكنه يصبح ارهاباً اذا تبنى المتطرف العنف أو استخدم اسلوب التخويف والتهديد باستخدام القوة، وسيلة لتحقيق اهدافه ومعتقداته.